الأدب العربيّ الصوفيّ في الصومال

الشيخ المهندس: منـــــــــــير عبد الله الحاج عبده(*)

ملخّص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأدب العربي الصوفي في الصومال، والقصائد التى أنشدها شعراء صوماليون باللّغة العربيّـــــة من كبار علماء الطرق الصوفية، من القرن التاسع عشر الميلادي وما بعده، والكتابة في هذا المجال نادرة، وتتطلب غوصا في أعماق التاريخ، وجهدا شاقا لكشف الأستار عن الثقافة العربية الأصيلة في المجتمع الصومالي .

وانتظم البحثُ في محورين رئيسين:**المحور الأول**:سيتطرق مقدمة تعريفية عن الصومال، وعن نشأة الطرق الصوفيـّة ودورها في حماية الدّين والوطن، وانتشار اللغة العربية في ربوع الصومال وشرق إفريقيا عموما، وتصدّيهم لجهود التغريب بإبعاد اللغة العربية عن الساحة، وأوربة الأمة الصومالية بنشر اللغتين الايطالية والإنجليزية.

والمحور الثاني: يسرد نماذج من الأشعار والقصائد لكبار المشائخ البارعين بقرض الشعر باللغة العربية ،أمثال الشيخ المجاهد الأديب: السيد محمد عبد الله حسن(1852-1921م) قائد الدراويش، وزعيم الطريقة الصالحية ،

والشيخ الأديب الفقيه عبد الرحمن بن أحمد الزيلعي القادري المتوفى (1882 م)، والشيخ الفقيه الشاعر:عبد الرحمن بن عبد الله الشاشي المعروف بشيخ صوفي المتوفى(1900 م).

(*)عميد كلية الحاسوب ونظم المعلومات، ومحاضر في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة شرق إفريقيا، بوصاصو، بونت لاند ،جمهورية الصومال.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله و صحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد:

الصوماليّ ينتمي إلى الثقافتين العربيّة والأفريقيّة واختلطت في عروقه دماء العروبة بدماء الأفارقة،وانتماؤه الى الثقافة العربيّة ، والحضارة الإسلامية أقوى من انتمائه إلى الثقافات الأفريقيةوالحضارات الوثنية البائدة،أوالمسيحية المحيطة به من الشعوب الأخرى، واللّغة العربية كانت لغة الصوماليين في قديم الزمان حكومة وشعبا، وتتعرض اليوم انحسارا شديدا أمام غارات التغريب والعولمة مع غياب الدّور الفعال للمناصرين لها.

أهمية البحث :تتخلص أهمّية البحث في الآتي:

1- القيمة العلمية للموضوع: إذ يتعلق بالأدب العربي ومكانته المرموقة في إفريقيا.

2- تعلّق البحث بالشعر العربي وأغراضه لدي الشاعرالصومالي.

3-الإسهام في إبراز دورالأدب العربي الصوفي في نصرة الإسلام ،وتعريب الأمة الصومالية.

أهدف البحث:

1- عرض دور الأدب العربيّ الصوفىّ في المجتمع الصومالي، وتاريخه التليد،

2- إبراز دور علماء الصومال في خدمة الإسلام ومقاومة التغريب قديما ،

حدود البحث:الحدود المكانيّة وهي الصومال الكبير،وهي المنطقة التى يسكنها الصّوماليون قبل الاستعمار،وتشمل الآن كلّ من جمهورية الصّومال وجيبوتي وأجزاء من إثيوبيا وكينيا.

الحدود الزمانية: القرن التاسع عشر الميلادي ومابعده.

منهج البحث:

اعتمدت في موضوع البحث على المنهج الوصفي والتاريخي، فقد تمّ اختيار بعض الشعراء في الأدب العربي الصوفي الصومالي، ثمّ جمعت نماذج من أشعارهم من الكتب، والمصادر الأصلية التي تناولت ترجمة ذلك الشاعر، أو ديوان الشاعر إن وجد، ثم قمتُ بدراسة وصفية فـــــنّية، معتمداعلى منهجية علمية تحقق الجودة وسلامة النتائج .

هيكل البحث:

انتظم البحث بمحورين : **المحور الأول**: مقدمات تعريفية عن الصومال، وعن الطرق الصوفية ، وعن الأدب الصوفي وتاريخه،

المحور الثاني: نماذج من الأشعار والقصائد لكبار المشائخ الأدباء الصوماليين،واختتمتُ بخاتمة أجملت فيها النتائج ،وأودعت فيها التوصيات.

واسأل الله العظيم أن يبارك هذا الجهد، ويجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحور الأول: مقدمة تعريفيّة عن الصومال وعن الطرق الصوفية

أولا: يطلق بلاد الصومال أو الصومال الكبير على جميع المناطق التي يسكنها الصوماليون قبل ترسيم الحدود السياسية، وتشمل اليوم كلّا من الأجزاء الخمسة التي تشير إليها النجمة التى في علم جمهورية الصومال، حيث قسم الاستعمار البلاد إلى خمسة أجزاء:الصومال الفرنسي جيبوتي حاليا، والصومال الإيطالى وهي الأقاليم الجنوبية،والصومال البريطانيّ وهي الأقاليم الشمالية، والصومال الغربي(أوجادينيا) تحت سيطرة الحبشة، والمنطقة الصومالية في الحدود الشمالية الشرقية تحت سيطرة دولة كينيا، ولكن الصومال البريطاني والإيطالي اتحدا بعيد الاستقلال عام1960 م في جمهورية الصومال، وعاصمتها مقديشو، ويحدّ الجمهوريّة من الشمال خليج عدن والبحر الأحمر،ومن الجنوب الغربي كينيا ، ومن الشرق المحيط الهندي، ومن الغرب الحبشة إثيوبيا [1].

أمّا سكّان الصومال فليسوا من أصل واحد، وأب واحد، واختلف المؤرخون إلى الأصل الذي ينحدر منه الصوماليون إلى ثلاث آراء:[2]

الرأي الأول:أنّهم من أصل حاميّ من العنصر الكوشي قدم من آسيا واستقرّ في القرن الأفريقي،
الرأي الثاني :أنهم من أصل سامي عربي من القبائل المهاجرة من الجزيرة العربية،

الرأي الثالث: أنهم من أصل إفريقي من الزنوج، والبانتو، والذي يبدو لي أن الأصول الثلاثة متواجدة في الصومال اليوم، ويغلب العرق الحاميّ أصالة والساميّ هجرة ، واختلاط القبائل العربية المهاجرة بالسكان الأصليين مصاهرة وانصهارا، أدى إلى ظهور الجنس المزيج من سلالات مختلفة، ولديهم خصائص معيّنة مشتركة، ويعيشون في مجتمع منسجم ذا دين ولغة واحدة، وثقافة متماثلة، ولون أسمر ، ونحافة جسم ، مع الميل إلى الطول.
وقد أشار معظم المؤرخين القدامى لبلاد الصومال ومدائنها في كتبهم بأسماء مختلفة،

---

[1] د حسن مكي محمد، السياسات الثقافية في الصومال الكبير ، دار المركز الاسلامي الافريقي الخرطوم ، 1990،ص 18،
[2] الد كتور محمد حسين معلم ، الثقافة العربية وروادها في الصومال ، دار الفكر العربي القاهرة ط1،2011م، ص 17.

مثل بلاد البونت، وأزانيا، وبربراوي ينسب الى مدينة بربرة الواقعة في الساحل الصومالي الشمالي ، فأبو الحسن المسعودي(345هـ) يعرفها ببلاد الحافون، وبأرض بالحبشة، وببحر الزنج، وبخليج البربري، أما الدمشقي: فيسمي الصومال بأرض زيلع، أما ابن بطوطة(779هـــ) فزارالصومال شمالا وجنوبا ووصف أهل البلاد بأنهم برابرة من طوائف السودان،[1]

كيف ظهر اسم الصومال أو السومال؟

هذه مسألة لم يحسم المؤرّخون أمرها إلى الآن، هل هو اسم جدّ، أوقبيلة سكنت البلد ؟ أو اسم وادي في اليمن أو الصومال أم تحريف لكلمات أخرى، والأرجح أن الكلمة صومالية بحتة، مركبة من كلمتين:"**سو**"بمعنى: اذهب،و"**مال**" :اي احلب،وتشير إلى اللبن ووظيفة الرعي للمواشي، و كما يقول الدكتور المؤرخ محمد حسين معلم :" ولعلّ هذا التفسير يكون أصح وأقرب التفاسير إلى الصواب ".[2]

ثانيا : دخول الإسلام إلى الصومال

الشعب الصومالي يتديّن بالدّين الإسلامي فهم مسلمون 100%، وهي الدولة الوحيدة في القرن الأفريقي أو شرق أفريقيا التي لم تجد الديانات الأخرى موطأ قدم مع توالى حملات التنصير والتغريب، من الاستعمارإلى اليوم.[3]

متى وصل الإسلام الى الصومال؟

للإجابة عن هذا السؤال فهناك روايات عدة نلخّصها كمايلي: **الرواية الأولى:**قبل أن يصل إلى المدينة المنوّرة في السنة الخامسة للبعثة عندما هاجر بعض الصحابة من مكة إلى الحبشة، فقد زاروا مدينة زيلع قبل أو بعد وصولهم إلى النجاشي.وهذا الرواية ذهب إليه أكثر المؤرخين[4].

---

[1] الد كتور محمد حسين معلم ، مرجع سابق ، ص 27.

[2]الد كتور محمد حسين معلم ، مرجع سابق ، ص 35.

[3] الشيخ عبد الرحمن النجار ، الاسلام في الصومال ،مطابع اهرام التجارية القاهرة ،1973 لا طبعة، ص 62

[4] عميد أ ح محمد فريد ، صفحات من تاريخ الصومال ، دار المعارف القاهرة ،د.ذ ت ص7،

الرواية الثانية: دخل الإسلام الصومال في عهد الأمويين عصر الخليفة عبد الملك بن مروان(65-86هـ) حيث أرسل جيشا داعاهم إلى الإسلام فأسلموا بدون قتال[5] ، فالمؤرخون كلّ دافع عن روايته بإدلّة لا تسلم من النقد، ولكنهم أجمعوا على أن الاسلام وصل إلى الصومال بدون قتال، وانتشرسريعا عن طريق التجار والدعاة المهاجرين الذين توافدوا إلى الصومال تترى، والقبائل الصومالية كانوا أكثر استجابة من جيرانهم من الحبشة لبقائهم على الفطرة، وكثرة ترحالهم ،وميلهم للحرية والاستقلال عن عبادة الحجر والبشر [1]،

ثالثا : اللغة الصومالية واللغة العربية

اللغة الصومالية مزيج من اللغة الكوشتية الأفريقية واللّغة العربية، وبينهما علاقة قرابة، ويكثرفيها ألفاظ مشتركة بين اللّغتين مثل أسماء أيام الأسبوع ، وأسماء الناس بمختلف شرائحهم ،بل ذهب بعض الكتّاب أن كل كلمة صومالية ترجع إلى اللّغة العربية المعاصرة أو المهجورة ، أما مكانة اللّغة العربية في المجتمع الصومالي فلا يعادلها شيء من اللغات الأخرى،فقد كانت العربية لغة التعليم، والتجارة والمراسلات وجميع العقود، في القرون الماضية للسلطات والإمارات الصومالية القديمة،ولغة التدريس في المراكز العلمية ، وتستخدم اللّغة الصومالية للتخاطب والشارع، وكانت تدوّن بالحرف العربي في بعض الحالات.

وبعد الاستقلال من الاستعمار الأوربي بعشر سنوات وإجراء نقاشات حادّة ، ومداولات كثيرة ، بين الداعمين باستخدام الحرف العربي لكتابة اللّغة الصومالية، والقائلين باستخدام الحروف اللاتينية، حسم الأمر باستخدام الحروف اللاتينية وزيادة أبجديات عليها لسهولة المطابع والآلات اللاتينية للكتابة والنقوش، وصدر المرسوم الرئاسي عام 1972م،[2]،

ومع ذلك فجميع دساتير الدّولة الحديثة تعتبر اللغة العربية اللغة الثانية للبلاد، ولها وجود رسمي في مجالات شتّى:-كالمستوى التعليمي في المدارس والمعاهد والجامعات والمستوي الأدبي من

---

(5) الشيخ عبد الله عمر نور ، مسير ة الاسلام في الصومال الكبير، الطبعة الثانية د .ذ.ت ، ص18،

(1) الشيخ ابراهيم عبد الله ، تحفة الاوفياء لمسيرة التحرير الطبعة الاولى 2001، ص455

(2) محمد طاهر افرح، نظرات في الثقافة الصومالية ، اصدارات دائرة الثقافة والاعلام الشارقة، ط1،2002، ص65

شعر ونثر وقصص، والإعلامي من صحف ومواقع ونشرات وكتب وإعلانات وفي مستوي الوعظ والإنشاد الديني .

رابعا : دخول الطرق الصوفية الى الصومال

بعد انتشار الإسلام تمسك الصوماليون بتعاليم الشريعة، وانتشر انتشار سريعا في ربوع البلاد ، وأصبح القرآن جزءاً من تربية الأجيال يتسابق إليه المتسابقون إلى اليوم، وازدهرت مراكز دينيّة للعلوم الشرعية داخل الصومال مثل زيلع ،وهرر،ومقديشو-وجلعسبو-وأشراف وورشيخ، واتصل الصوماليون بالعالم الإسلامي مثل الحجاز وبغداد وبلاد اليمن وأصبح القرن الأفريقي قبلة الدعاة والمهاجرين من الجزيرة العربيّة،ومن هولاء الدعاة من كان ينتسب الى الطرق الدينيّة المشهورة بالتصوّف التى لها أدبيات ووسائل خاصة للتعليم ونشر العلم بالإضافة إلى الدرجات والمراتب لمنتسبيها كالخلفاء، والرؤساء والمريدين والخدم والأتباع ، ومن أهم الطرق الصوفية التى وصلت إلى الصومال:

1- الطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني العراقي المتوفى سنة561 هـ الموافق1166 م، التي وصلت إلى الصومال في القرن الرابع عشر عبر الدعاة اليمنيين والحضارمة فاستقرت في المدن الساحلية في مقديشو وزيلع، وبربرا ،وبراوة ومركة، ولها أنصار في القرى والبوادي ومساجد ومراكز،ومن أشهر علماءها وخلفائها الشيخ عبد الرحمن الزيلعي، والشيخ عبد االله القطبي والشيخ أويس البراوي وغيرهم،[1] وهي أول الطرق وصولا إلى الصومال وأكثر اتباعا من غيرها من الطرق الصوفية .
2- الصالحية نسبة الى الشيخ محمد صالح السوداني ت 1919م وهو ابن أخ إبراهيم رشيد تلميذ سيد أحمد بن أدريس(مؤسس الطريقة الأحمدية) من بلاد السودان، ظهر في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ويقال:الأحمدية، وقد أرسل إلى الصومال من مكة المكرّمة الشيخ ابراهيم الرشيد المتوفي1291 هـ لنشر مبادئ الطريقة الصالحية أو

[1] الشيخ عبد الله عمر نور : مرجع سابق ، ص158، الشيخ عبد الرحمن النجار مرجع سابق،ص68،

الأحمدية في الصومال، وانتشرت الطريقة بسرعة في ربوع الصومال،وأسسوا مراكز وقرى تعاونية، وبنو مساجد لإقامة الصلوات وخلاوى لتحفيظ القرآن الكريم ، وتدريس العلوم الإسلامية، وفنون اللغة العربية، ومن أبرز مشائخها : الشيخ جوليد ، والشيخ علي نيروبي، والشيخ عثمان عمر، والشيخ حسن برسني، والشيخ عثمان البصري والقائد المجاهد السيد محمد عبد الله حسن وغيرهم رحمهم الله جميعا.[1]

خامسا: دورهم في حماية الدّين والوطن

كان للمشائخ الصوفية أتباع كثيرون وقد جدّدوا معالم الدّين وطريقة التديّن ومن مزاياهم مايلى:

1- كان المجتمع الصومالي مجتمعا قبليّا يكون الولاء لزعيم القبيلة نصرة والتحاما، ولكنّ الطرق الصوفية أزالوا هذه العقبة، وجعلوا الولاء باسم الدّين، والطاعة لشيخ الطريقة، فاجتمع في مراكزهم وقراهم أتباع من شتى القبائل ، فالتحموا وتصاهروا باسم الإخوة الإيمانية، وهناك تشطحات وخرافات رافقت مع المتصوفة ولكن حديثى مقصور بالصوفية المتعلّمة التى نفعت البلاد والعباد لا غير.

2- نشر الدين الاسلامي وتأسيس مراكز علمية منقطعة النظير للحلقات العلمية وبجميع فنون علوم الشريعة من عقيدة ،و تفسير،وحديث وفقة وسيرة وعلوم اللّغة ،وساد الفقه الشافعي في ربوع البلاد، ،وفي القراآت قراء أبي عمرة البصري ،

وفي المنهج التعلمي والوسائل، فقد أسسوا منهجا لا يوجد عند الشعوب الأعجمية كالآسويين مثلا، لقد كانت الكتب والمتون العلمية مكتوبة بالعربية، والترجمة شفويّة لا تدوّن بالصومالية، بينما الكثير من العجم دوّنوا الدّين بلغاتهم فترى سفرا كبيرا، يقال :أنه أحاديث نبويّة، ومكتوب بلغـــة أعجمية أردية وفارسية وسواحلية مثلا، لا ترى فيه سطرا واحدا بالحرف العربي، وهناك قاعدة ألفبائية مشهورة ومقرّرة على الصغّار ليتقنوا النطق

[1] الشيخ عبد الرحمن النجار مرجع سابق،ص71،

والكتابة بالحروف العربية،قبل البدء في تعليم القرآن يبدأ الطالب بإتقان هذه القاعدة المكونة من تسعة أبواب في الكتاتيب(الدكسي) مماسهّل للشعب الصومالي تعلّم القرآن بسهولة ،

3- **ارشاد وتوعية المجتمع الصومالي في الوبروالمدر**،وفي كل مجالات الحياة، لتطبيق الشريعة والتحاكم إليها عند النزاع، وكان المشائخ يجوبون البلاد طولا وعرضا، ويصلحون القبائل ويطفئون نار الحروب، ويجمعون التبرعات، فيساعدون الفقراء والأرامل ويعالجون المرضى من المسّ والسحر وغير ذلك،ويقيمون الاحتفالات الدينية في مزاراتهم ومقاماتهم ،وعند النوازل يتضرّعون إلى الله وينظّمون صلاة الاستسقاء في محفل مشهود.

4- محاربة الكفرة والدول الاستعمارية وتوعية الأمة ضدّ المعتدين ولهم قصص مشهورة، فكانوا يسمون العلج الأبيض بالأبرص تنفيرا وتقبيحا له، فمن القصص المروية أنّ جنديا بريطانيا شرب ماء من كأس امرأة صومالية في هرجيسا شمال الصومال فلمّا ارتوى ، طرحت المرأة الكأس على الأرض لتنجّسه لأن كافرا استخدمه للشرب، فاستفسر الإنجليزي عن الفِعلة المترجم واستغرب،

5- لقد حازت الطريقة الصالحية فضل السبق والأجر لرفع راية الجهاد ،وعسكرة الدعوة، وتسيير الغزوات لردع العدوّ الغاشم بالسيف ورفضت المداهنة في ذالك الأمر، وكان الحرب سجال بين أتباعهم وبين قوى الكفر من البريطانيين في الشمال والحبشة في الغرب والإيطاليين في الجنوب، ومن أبرز حركات المقاومة حركة الدراويش بقيادة السيد محمد عبد الله حسن، الذي أصبح أحد روّاد الحركات التحررية في أفريقيا عموما، وزعيم الأمة الصومالية بلامنازع.

6- مواجهتهم للفرق التى تنتسب إلى الإسلام، بالردّ وكشف شبهاتهم ودحض أباطيلهم، وتوعية الأمّة عن مضارّ التشيع والشيعة، وعن سموم البهائية ومقارعة الحجج بهم حتى اندثرت الطائفتان، وتحوّل الكثير من أتباعها إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فالشعب

الصومالي يحبّ المصطفى صلّى الله عليه وسلم، وأزواجه والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حبّا جمّا،وأكثر أسماء البنين والبنات من أسماء الصحابة حبّا وتيمنا وتبركا.
تلك االمزايا التي تحدثثُ عنها بصورة مقتضبة عن الصوفية في المجتمع الصومالي يعدّ ذالك تاربخامجيدا،وهوإنجازعظيم نعيش في ظلّه إلى اليوم، ولسان حال القدامى يقول اليوم تلك آثارنا تدلّ علينا *** فاسألوا بعدنا عن الآثار

سادسا :-الحفاظ على اللّغة العربية

الشعب الصومالي يتحدّث باللّغة الصومالية الكوشتية، ومع ذلك فأكثره ثنائي اللّغة حيث اللّغة العربية لغة العقيدة والحضارة، ولاسبيل لفهم الدّين إلا بتعلّم اللّغة العربية وإتقانها، وقد دأب العلماءالصوماليون، بتدريس الطلاّب اللّغة العربيّة في الصغر،وتخريج أجيال مهرة بجميع فنونها الأثنى عشر:جمعها بعضهم فقال:

نحو وصرف عروض ثم قافية***وبعدها لغة قرض وإنشـــــــاء
خط بيان معان مع محاضـــرة ***والاشتقاق لها الآداب أسمـــــاء[1]

وقد وضعوا سسلسلة لمتون اللّغة العربية تسمى **الدور** في المساجد والزوايا ، فالنحو لها دور منتظم يبدأ من الأجرومية بشروحها إلى متن الألفية لابن مالك ، ووضعوا عليها تعليقات نيّرة، وقواعد ذهبية لعلم الصرف والنحو والبلاغة لتكوين الشخصية الصومالية المثقفة باللّغة العربية،

أمّا الشعر فهو ديوان الأمم ومصدر تاريخها،وفي قديم الزمان كان الشعر منبرا إعلاميا للأدباء والزعماء، فأنشد الصوماليون قصائد طوال أوقصار، باللّغة العربية، لم يصل إلينا إلا القليل ، ونشبت بها يد الضياع والتلف والتحريف، وسلم منها النزر اليسير، فهناك أشعارمطبوعة بديوان الشاعر، وأخرى منثورة في تراجم أصحابها ،وهناك أشعار تروى مشافهة وحفظا، وهذا ما سنتاوله بالتفصيل في المحور الثاني، فمن أقدم العلماء الذين ملكوا ناصية الأدب العربي في الصومال الشيخ علي عبد الرحمن المجيرتيني (1787-1852م) الفقيه الشاعر اللسن، ألّف كتبا

[1] السيد أحمد الهاشمي ، القواعد الاساسية في اللغة العربية، دار عمربن الخطاب القاهرة ط1،2007،1، ص6

في الفقه والتفسير واللّغة، ومن مؤلفاته في اللّغة : الناموس النشيط المبني على القاموس المحيط، وهو شرح لقاموس المحيط، والأجوبة الغيبية للسؤلات الغريبة، رسالة يشرح فيها العلوم، وقد ذيّله بقصيدة أبياتها 121 بيتا من بنات أفكاره منشدا:

فهذه قصيدة لحلّ المشكلات ** فخذها منظومة سلسا بلا وعوع

وقد حبّرتها بنظام جوهري** فإن شئتَ فالفظها وإن شئتَ فابلع

ولولا أنك بسكوتي تفخر ** لما رضيت أن ذخائري تسمـــــع

وفى إحدى رحلاته سأله بعض الحاضرين عن نسبه فأجاب بقصيدة وصلنا منها هذين البيتين:

واذا تناسبت الرجال فإنني ** من نسل هاجر أم اســـــماعيلا

وإذا تفاخرت الشيوخ فإن لي** أجداد عزّ من صلب جبرائيلا(1)

ومن قصائد اللامية التي أنشدها لحامل كتابه الأجوبة فأنشد في مطلعها :

الحمد للمهيمن العليّ الأجلّ** وصـــــلاته على النبيّ الأفضـــل

وعلى أصحابه أولى الفضل والتقى** وعلى آله ذوي الحق الأعدل

إذا الدين بلاشك هو النصيحة ** إن المستشير ممن قولكم يقبل(2)

ومنهم من ضاعت قصائده بالعربيّة مثل الحاج محمد حاج محمود الحسني وبقي له بيتا واحدا، يضرب مضرب الأمثال مثل قوله:

أنت امرئ منّا خلقتَ لغيرنا **حياتك لا تنفع وموتك فاجع

وما زال في الصومال شعراء بلغة الضاد من شرائح المجتمع، وفي جميع أغراض الشعر لا سيما عند طلاب الحلقات والزوايا ممن وهبوا أنفسهم لتعلّم علوم اللّغة والشريعة الإسلامية،

---

(1) الشيخ جامع عمر عيسى صفحات من تاريخ العلامة الحاج علي عبد الرحمن الفقية ، دار الكتب صنعاء ط1،2009، ص84،90، وقد اورد القصيدة كاملا مع شرح غرائبها

(2) الشيخ جامع عمر عيسى مرجع سابق ص 91،

وهو ميدان فضل يتنافس إليه ذوو المواهب الشعرية،ولراقم السطور قصائد أكثرها في الرثاء عند وفاة مشائخنا والأقرباء فقلت :[1]

مالي أرى عيني بدمع أو دمّ *** تريقها وتسيل كالفيـــــضان

وأرى فؤادي جذوة لا تنطفي *** ولوعـــــة تنـتابني في الآن

لقد سلت نفسي بأن شال الردى *** حبيبـها وقـــائد الركبـــان

فذكرياتي لا تروح وإن مضى*** شـيخنا واخـــــتار دار جنان

شيخ العلوم وعاء دين متقن*** ذو حكمة وبـــــلاغة الرجـــحان

تبكي له مجالس العلم التي*** صارت إليه وقـــــادها بـــأمـــان

تبكي له مسائل الفقه اللتي ***أضـــحى يقـــربها إلى الأذهـــان

سابعا: الأدب الصوفي ونشأته وأغراضه

مصطلح الأدب يتباين مفهومه بتباين االعصور وخلاصة التعاريف تدور حول الكلام البليغ الصادر عن العاطفة الصادقة المؤثرة في نفس القارئ والسامع ، وأنواعه النثر والشعر، [1] ويعتبر الشعر أهم انواع الأدب العربي ، وله خمسة انواع رئيسية :

1. الشعر الغنائيّ : وهو القصائد الشعريّة التي تطرق غرضاً من الأغراض ، مثل : المدح والهجاء والرثاء والفخر والغزل
2. الشعر القصصيّ: هو الذي يروي سيراً و بطولات تاريخية ،
3. الشعر التمثيليّ أو المسرحيّ : هو الذي يُكتَب ليُقال على المسرح على لسان شخصيات
4. الشعر التعليمي: هو الذي ينظم فيه الشاعر علماً من العلوم ، ليسهل حفظه. كمتون الألفيات المشهورة في كل فن من العلوم الاسلامية كمتن الفية النحو لابن مالك الاندلسي، و قصيدة الشاطبية في علم القرآت

[1] منير عبد الله الحاج عبده خواطر ورؤى معاصرة غير منشور ص ،51

1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، ط1، ص8،

5. الشعرالصوفي وهو من ألوان الشعرو أرفعه يتطرق الى الحبّ الإلهي ،والتضرع لخالق الكون والأنس الإلهي وعبادته ، ونقاء الروح وتزكيتها وغرس الاخلاق الحميدة وترك ملذات الدنيا وشهواته ، وقد ظهر في بداية القرن الثاني الهجري وانشر في القرن الثالث بظهور النساك والزهاد في صفوف العلماء والفقهاء والمحدثين إبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، وداود الطائي، ورابعة العدوية، والفضيل بن عياض، وشقيق البلخي، وسفيان بن عيينة، [2]، وهكذا أخذ الشعر الصوفي معالمه وازدهر، واشتهرت قصائد طوال وجمعت دواوين كثيرة لشعراء الصوفية في العصر القديم والحديث ،

وأكثر أغراض الشعر الصوفي هو الحبّ الإلهي و الابتهالات والتسبيح والمناجاة، ومنه المدائح النبوية وتزكية النفس والنصائح والوصايا بالاضافة الى مدح الاولياء والمشائخ والأقطاب .

وسوف نتعرض بالتبسيط والتفصيل و نسرد النماذج الحية للادب الصوفي العربي في الصومال، في المحور الثاني إن شاء الله

[2]) د.مبارك زكي. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق. مكتبة الثقافة الدينية 2004م، 1| .37

المحور الثاني: نماذج من الأشعار والرسائل لكبار المشائخ الأدباء الصوماليين

اولا:الشيخ الأديب المجاهد السيد محمد عبد الله حسن(1856-1921م)

حياته ونشأتة: ولد السيد محمدعبد الله حسن نور في الصومال في قرية (سعمد يقدا) القريبة من مدينة بوهودلي،عام 1856م، من أسرة دينية فأبوه كان عالما مشهورا، دخل الخلاوي(الدكسي)، فحفظ القرآن في صغره كعادة أهل الصومال،و عاش في كنف أخواله أهل الشجاعة والشعر والأدب، وتعلّم الفروسة والرّمي بالرماح، وعلى أيدي مشائخ زمانه تعلم اللّغة العربية ، وعلوم الشريعة في موطنه في أقليم نجال وتجطيري وأوجادينيا، ثم ارتحل إلى مدينة هرر، ومقديشو ، ونيروبي ،والسودان، وكان صاحب همّة عالية وذكاء موفور، فاتّجه إلى الحجاز وجاور الحرمين الشريفين ستّ سنوات فارتوى من معينها الصافي، ومنبعها الأصيل، وكان في بداية العقد الثالث من عمره، وقابل كبار الحجاج عند موسم الحج كلّ عام، فاكتشف أخبار العالم الإسلامي، وما حلّ بالمسلمين من تفرّق ودمار واحتلال، وأحوال المقاومة، والثورات في بقاع العالم الإسلامي، كالحركة السنوسيّة في ليبيا،والمهديّة في السودان، فعقد النيّة بإنشاء حركة الدراويش في بلاده ، وفي مكّة المكرمة التقى بالشيخ محمد صالح السوداني شيخ الطريقة الصالحية، فأخذ الطريقة عنه واقتنع بها ،وتمذهب في مذهب أهل التصوّف. [1]

رجع عام 1895م من الحجاز، ووصل الصومال عبر ميناء بربرشمال الصومال،وهي تحت الاحتلال البريطاني، فسأله البريطاني: دفع رسوم الجمارك للدخول فرفض، بل سأل البريطاني: من أعطاك إذن الدخول إلى بلادي؟ فقال المترجم الصومالي :"خله فهو شيخ مجنون"، بعد ذالك نزل الشيخ مدينة بربر وبدأ التدريس في مسجد الصالحية وتوعية الناس في المجالس العامة بخطاب تحررّي حثّ بنى الصومال بنبذ الخلافات والتجمع لمقاومة الأعداء ومحاربة التبشير، وكان خطيبا بارعا وشاعرا باللّغتين العربيّة والصومالية، فاجتمع

[1] الشيخ جامع عمر عيسى تاريخ الدراويش والسيد محمد عبدالله الطبعة الثانية 2005م ص32،

حوله الناس،وأسس حركة سماها بالدراويش وأعلن برامجه السياسي، ونادي برفع راية الجهاد فإما النّصر أو الشهادة ، وبدأت المعارك واحتدم القتال وكانت الدراويش أقوي حركة تحررية، واجهته بريطانيا العظمى آنذك، وقد سُجّل أربعون موقعا، أكثرها كان النصر حليفا لحركة الدراويش، واستمر جهاده عشرين عاما (1900-1921م)[2].

وكانت مدينة تليح عاصمة للدراويش، وأخيرا استخدمت بريطانيا الطائرات والجراثيم لدكّ الحصون في مدينة تليح لإخماد الدروايش، وانسحب السيد إلى داخل أوجادينيا، ومات في قرية إيمي لحمى شديدة اعترته، مساء يوم 21-12-1921م فرحمه الله تعالى وكثر فينا أمثاله[3].

[2] الشيخ عبد الله عمر نور ، مرجع سابق، ص119

[3] الشيخ جامع عمر عيسى مرجع سابق ص364،

شاعريته و الأغراض الشعرية لقصائده:

ازدهر الشعر وبلغ قمّــته أيام ثورة الدراويش ،ومن عمالقة الأدب وقائد فرسانه الأديب السيد محمد عبد الله حسن، وكان هذا العصر عصر صراعات، وحروب سياسية وقبليّة ودينية، ويعتبر الشعر من أفتك الأسلحة في المجتمع البدوي التقليدي، وكان السيد شخصية فذة، اجتمعت فيه خصائص كثيرة:مثل العلم والمعارف العالمية والشجاعة والعبقرية والموهبة الشعرية مما جعلته أعظم شاعر صومالي إلى اليوم، وللسيد رسائل من النثر ، ودرر منضودة باللّغة العربيّة، وأعظمها الرّسالة المسماة **بمباحث المنافقين** يشرح فيها كفاحه وأهداف حركته الإصلاحية الدراويش.

فقصائد الشعر للسيد محمد باللّغة الصومالية بـوّأته المرتبة الرفيعة في الشعر والأدب الصومالي، أنشدها لتعبئة الجماهير،وعرض توجّهاته الجهادية، والردّ على مناوئيه من القبائل الصومالية، والسلطات العشائرية، والزعامات الدينية الأخرى المتقاعدين عن نضاله ، وأحيانا ينشد قصائد طوال لوصف الخيول وتصوير الطبيعة الخلابة في افريقيا "وقد عالج معظم الأغراض الشعرية الكلاسيكية- إن لم نقل كلها- مثل الفخر والوصف والهجاء والحكمة"(1)،

أما الأشعار باللغة العربية فقد فقد الكثير منها، والباقي منثور في بطون الكتب التي تترجم للسيد أو لحقبة حركة الدراويش الصومالية، وبعدالتتبع واستقراء ماوصل إلينا يمكن لي حصر الأغراض الشعرية لقصائده بالأغراض التالية:

1- **الشعر السياسي والحماسي**:

هذا القصائد لوصف المعارك التي انتصر فيها السيدعلى الإنجليز وأعوانه، ففي موقعة عغاروين سحقت الدراويش بعد صلاة الفجر جيوش الاستعمار البريطانية، وقتلت ستمائة وأكثر منهم ، وكانت يوم16: -4-1903م، يقول فيها:[2]

---

[1] محمد طاهر افرح نظرات في الثقافة الصومالية اصدارت دائرة الثقافة والاعلام حكومة الشارقة الطبعة الاولى 2002،ص47،

[2] الشيخ جامع عمر عيسى مرجع سابق ص120 ،

وخلينا القلوب من أوصاف الآثام***وخلّينا اللسان عن فحشاء الكلام

حببنا بسريرة أهل العصـــام ***كـــرهنا بشـــــــــــريرة أهل الظـــلام

وسوينا الجهاد وشدينا الحسام***وشـــلينا الســـلاح ونـــــــــوينا المـــرام

وركبنا الخيول وسوّينا اللـجام***وغـــشـــــــــينا الصّلاة ورضـــينا الإقدام

وسقينا العطاش من حيال الحمام***وربّـــــينا الطـــــيوربلـــــــــحوم العرام

وأمسيناالسرور بإهلاك الأقوام***مـــــن لو ومـــــن لـــــيت الأيـــــــــــــام

2- المدح لأنصاره والهجاء لأعدائه

أرسل السيد وفدا صوماليا برياسة الشيخ أحمد مشروع بن محمود الصومالي نيابة عنه لإجراء معاهدة حماية مع الدولة العثمانية ويعلن ولاءه للخلافة الاسلامية وذالك عام 1916م، وبعد وصول الجواب للسيد وتعهد الدولة العثمانية بحماية البلاد ومناصرة الدراويش بالسلاح والتموين،أر سل السيد قصيدة طويلة لمدح الاتراك وقائد القوة العثمانية بلحج اليمن: فقال في مطلعها:

أهدي سلام من دحا ** سبعا وسبعا وشـــحا

ما اسودّليل وجنحا **واقبلت شمس الضـــحا

واشتد يوم صمدحا**اذا السراب ضحضحا

والخيل عدوا ضبحا**وفـــــــــارس قد كـــــبحا

ثم استرسل بمدح الأمير العثماني قائلا:

بعزة توشـــــحا ** وفي العـــــــلا تبحـــبحا

ودوح مجد جلـــحا**من فيـــض ربّ رشحا

منفردا قد أوجـــحا**عن غـــــيـــره ترجّـحا

سلطـــان كلّ فقحا **أهـل الطغـــــاة نـــــيحا

ثم بدأ بهجاء الإنجليز وفرارهم من المعارك بينه وبين أبطال الدراويش في جنح الليل

اذ العلوج رحرحا** سما صميما جزحا

فالرأي فيه مسحا** في شأنه تريـــحا

وكم به تبدحـــا ** برزئه سلـــــمحا

والكفر لما افتضحا **في ظـل قمر نتحا (1)

3- الرّد على مشائخ عصره المناهضين لحركته ودعوته الإصلاحية

من المسلمات الصراع التقليدي بين الزعامات الدّينية لأغراض فكرية ومذهبيّة بينهم، فبعد ظهورالدعوة الإصلاحية للسيد محمد عبد الله و جهوده لتوحيد الصوماليين تحت شعارالطريقة الصالحية، عادته الطريقة القادريّة الأكثر انتشارا في الصومال آنذاك، واتهموه بالضلال وفتنة الخوارج، وقاموا بالردّ عليه بالرسائل والقصائد، ولم تشفع له جهاده مع الاستعمار بل الكثير من أقطاب القادرية قاموا بصلات مع المستعمرين، وتصالحوا مع السلطات الإيطالية والبريطانية والحبشة، فقام السيد بمهاجمتهم باللسان وبالسنان، ومن أمثلة الرّدود الرسائل النثرية ،والقصائد الشعرية التي أشبه بالنقائض ولكن بشعر صوفي بينه وبين أقطاب القادرية، فمثلا كتب الشيخ عبد الله بن معلم القطبي القادري كتابا سماه **نصر المؤمنين** يبيّن موقفه من الصالحيّة والوهابيّة، وأرسل الشيخ رسالة إلى السيد محمد يستفسر عن إقامة الد ليل لقتل الصوماليين واستباحة أموالهم بحجة الردّة ومعاونة الكفار ويختم قصديته بقوله:

وما نقول كلّهم كفار ** لجهلهم وعميـــهم أبرار

الا الذي فرّ عن الإسلام**من بعد استتابة الأحكام

لاترســلنّ للناس الا عارفا**بـدينه موافيا مناصفا

مشتغل في سفر مفيد**لـــمؤمن لربــّه مريـــد

(1)الشيخ جامع عمر عيسى مرجع سابق 2005م ص290 ،

فردّ السيد بقصيدة فاقت 235 بيتا أورد فيها براهين ساطعة للتعامل مع المنافقين من النصوص والفقه الاسلامي، ووصف أحوال السياسية للبلاد والعالم ودافع عن مواقفه بالحجج، وسرّد ألغازا في بعض المقاطع ليظهر معرفته في العروض وصناعة القريض منها قوله:

هذا زمان والبلاء** في البـــلاد عـــــمّـــا

والعرف فيه منكر** والنكر فيه قد نـــمـــا

والحق مرّ يجتنب***والظلم أمر يهتـصـمـــا

والعذر للجهال وال** فسوق أعنى المـــجرما

يهان ذو علم كما ***يهـــان من تـــجسمـــــا

ياويح مادح ثنا*** على اللعـــــين رجـــمـــا

فد أفصح القرآن في** المنافقين المـــــشـــتما

وقال في شأنـــــهم ** صـمّ وعمـــــــي بكما(1)

ويسترسل في النقاش والافتخار في نظم الشعر وإنشاده

هذا ومنك قد وصل** ما قد أتانا منظما

وكل ما حرّرتَه ** قد صار عندي مفهما

لأن كل شطر بيت** فهو شعر يـــــــتما

4- **الغرض التعليمي لتقريب الفنون** فللسيد منظومة في العقائد ضمنها في كتاب **قمع المعاندين** الذي أرسله إلى شيخه السيد محمد صالح المكي،

خصائص الشعر الفنّية:

أولا الصورة الشعريّة:- السيّد محمد عاش بكامل حسّه مع الأحداث الجلل، وعانى معاناة المصلح المجدّد مع كثرة الأعداء، وقلّة الأصدقاء، وصعوبة الحياة في بيئة صحراويّة ومجتمع رعويّ بدويّ،لا يعترف الولاء إلا للقبيلة، ولايستوعب المؤمرات الخارجية، فهو شاعر ذو حسّ مرهف،

(1) الشيخ عبد الله عمر نور ، مرجع سابق، ص142

يصف المعارك حتى يظنّ السامع كأن الوغى أمامه، والمعركة يراها بتفاصيلها رأي العين ،وعند الهجاء فيطعن العدا حتى يصير مستهجنا تمجّه الآذان، فقد لام معاصروه بشناعة القول في ذمّ الكفار وأعوانهم ، فقال السيّد: ألم تسمعوا قول الله عز وجلّ في أمر وليد بن المغيرة (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * **هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ)(القلم:10-13)،

ثانيا اللغة:- بما أن الشاعر ثنائي اللغة، فهو بارع بلغته الأصلية الصومالية، ابتكر أوصافا وأبدع في الألفاظ والمعاني فأصبح أمير الشعراء في الصومال بلامنازع، أما في اللغة العربية فهو غير مطبوع فكان دون ذالك، ويكثر في شعره الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبويّة انطلاقا من ثقافته الدينية العميقة، مثل قوله:"أهدي سلام من دحا سبعا وسبعا "، أخذ من قوله تعالى (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) النازعات:30، وقوله: شمس الضـــحا ،أخذ من قوله تعالى (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) سورة الشمس:1،، "والخيل عدوا ضبحا" مأخوذ من قوله تعالى(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحا) العاديات:1، ويظهر في قصائده التشبه والاستعارة والمحسنات البديعية .

ثالثا الأسلوب: يظهر أسلوب السيد في شعره أنه من أسلوب الشعر الصوفي الذي كان سائد ا في زمانه، يركزعلى تهذيب النفس وصفائها والثورة والجهاد ضد المستعمر، وكثيرا ما يستفتح القصيدة بالبسلمة والذكر، ويختتمها بالصلاة والتسليم، وعند المجادلة ومقارعة الحجج مع العلماء المعارضين له يستخدم لغة الفقهاء والألغاز من الرموز والأحاجى، مع جزالة اللفظ و ايراد الكلمات الغريبة، ليفحمهم ويظهر تفوّقه في الفقه والدّين واللغة .

ثانيا: عبد الرحمن بن أحمد الزيلعي القادري(1815-1882 م)

1- حياته ونشأتة وشاعريته:

الشيخ عبد الرحمن بن أحمد نورية الديسو الكدلي الرحنويني، والمشهورأنه ولدعام: 1815م في منطقة باي وبكول في جنوب الصومال ، حفظ القرآن في سنّ مبكر،وتعلّم العربية وعلوم الشريعة ، في منطقته ثم رحل إلى مقديشو مركز العلم، وتلمّذ على يد الشيخ أبى بكر المحضار فنبغ في فنون كثيرة، ثمّ سلك مسلك التصوف، والتحق الطريقة القادرية على يد شيخه الفاضل الشيخ اسماعيل المقدشي، ولازمه سنوات عديده، ثمّزار الحرمين والتقى علماءها، ومنهم مفتى الحرمين الشيخ أحمد بن زيني دحلان الشافعي، فرجع إلى الصومال، فاستوطن مدينة هرر،فقام بتدريس العلوم الإسلامية واللّغة العربية، ثم انتقل إلى أوجادينيا فنزل قرية قلنقول، وأسس مركزا ثقافيا ، ومجتمعا يدين الولاء للطريقة بعيدا عن القبلية، فتخرّج منها مشاهير العلماء، فقد كان الزيلعي مدرسا واعظا بليغا ومجدّدا مصلحا،ومؤسسا للطريقة الزّيلعية من فروع القادرية، وتوفّي في قرية قلنقول في عام 1299هـ،الموافق 1882م،[1]

أما شاعريته:- فقد كان من أرباب الفصاحة والأدب، وملك صناعة القريض باللّغة العربيّة في الصومال،وله قصائد طويله يحفظه معظم الناس من تلك المنطقة ، أكثرها في مدح الحبيب صلى الله عليه وسلم ، والتوسل بالجيلاني والأولياء،واراجيز للمتون العلمية، جمع كثيرا من أشعاره في ديوانه.المسمى المجموعة المشتملة.[2]

الأغراض الشعرية لقصائده

الشيخ الزيلعي عالم دين مشهور في العالم الإسلامي ، أكثر شعره يدور في مجالات الشعر الصوفي، والتعليم ، ويمكن حصر ما وصل إلينا بالأغراض التالية:

---

[1] الشيخ عبد الله عمر نور : مرجع سابق ، ص160

[2] الشيخ عبد الرحمن النجار مرجع سابق،ص74،

1- المديح قصائد المديح النبوية :

له قصائد كثيرة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلّم ،وأشهرها الدالية المسمى **حادية الارواح الى حضرة الحبيب سيد الملاح** يقول في مطلعها:

أيا أخواننا أهل الرشاد ** تغنّو بالصلاة على المراد

وقولوا بالتودّد واعتضاد** صلاة الله ما ناح المنادى

على خير الوري هاد العباد**أكلّف بالثنا نفسي لأتقي

جميع الناس أعلى وأنقي** وأفضلهم بمدحه نيل مرقى

يطيب القلوب و الأفواه حقا** بذكرمحمد عين المراد

والقصيدة الثانية :مهيجة الأفراح في مدح سيدنا محمد نور الأرواح (العينية) قال في مطلعها

ألا يا حبيب الله قلبي متـــيمٌ ** بحسن بدا في وجـــــــهك المتلمع

الا ياحبيب الله أنت اعتمادنا**وأنـــت رجـــــانا عند كـــل مـــروع

يا خير الرحمن يا بهجة الوري** ويا مجمع الخير اتجاهك مشرعي

فيسترسل في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم بسلس العبارة

فصيح بليغ محجز القول مبدع**بلاغته قد أعجزت كل مصقع

وأوصافه قد أدهشت كل عارف**فما بيّنوا منها بتفسير مقنع

وقام بتخميسها الشيخ أويس البراوي المتوفي(1906م)ومطلع التخميس:

إذا نابنا خطب جيسم مخيم***وهاج بنا من هول شد تنا يمّ

ننادي رسو ل الله والناس نّيم** ألا يا حبيب الله قلبي متيمٌ

بحسن بدا في وجهك المتلمع

القصيدة الثالثة: من نوع الشوق والحنان الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم سماها **"ر بيع العشاق في ذكرى مولد صاحب البراق"** قال في مطلعها :

عليك صلاة الله ياخير مرشد** عليك سلام الله يا نور مهنّد

له النسب العالي فليس كمثله**حبيب نسيب محسن متكرم

أقدمه في كلّ مدح لأنّه** اذا كان مدح فالنيســـــب المقدم[1]

مناقب الصالحين والتوسل بهم

الزيلعي شيخ الطريقة القادرية في الصومال ومولع بحبّ مؤسس الطريقة الشيخ الجيلاني العراقي، فأنشد قصيدة بلغت 88 بيتا، توسلا ومدحا به وسمّاها **سراج العقول والسرائر في التوسل بالشيخ عبد القادر** يقول في مطلعها

يا غوث أعظم قم لنا غوثا مددا يا بان أشهب هب لنا خيرا أبدا

يا محيي الدين أحينا يا معتمد يا سيدي كن لي ظهيرا بالمدد

ياسيد السادات عبد القادر،[2]

2- **التعليم وتقريب الفنون :**

نظم كتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، بأرجوزة بلغت 275بيتا يقول فيها:

الحمد لله الذي علّمـــــــــنا معنى البيان بعد إذ أبدعنا

ثمّ الصلاة والسلام سرمدا على محـــــمد ومن به اهتدى

وبعد فالتلخيص في المعاني مُختصر أبدع في البيان

---

[1] أحمد حسن بري المدائح النبوية في الصومال في العصر الحديث، رسالة ماجستير (غيرمنشورة) في جامعة مدينة العالمية ماليزيا ص39،

[2] الشيخ عبد الرحمن النجار مرجع سابق،ص74

أجاد في تهذيبه المفتاحا حتى أعاد ليلُه الصباحا

وقد نظمتُ منهُ قدر الحاجة مكملا للطالب احتياجه

وفي علم الصرف نظم قصيدة حذيقة التصريف التى اشتهرت في الآفاق، وقام بشرحها المسمى بفتح اللطيف، يقول في مطلعها :

قال الفقير عابد الرحمن الملتـــــــجي لربّه المنّان

الحمد لله الذى قد ألهما وعلّم الانسان ما لم يعلما

....

وبعد ذي أرجوزة لقّبتها حديقة التّصريف قد نقّحتها

أسأل ربّي أن تكون نافعة لقاطف بها ثمارا يانعة،[1]

خصائص الشعر الفنّية:

أولا:الصورة الشعريّة: الشيخ الزيلعي كرّس حياته لخدمة الدّين متطوّعا، ونشر الدّعوة في قرن إفريقيا، وفارق مسقط رأسه في جنوب الصومال ونزل هرر وجكجكا وقلنقول في أوجادينا،وجال في القرى والبوادي ، فإذا كان الصوماليون القدامى يحبّون الشعر والأدب فأنشأ لهم قصائد باللّغة العربية سهلة الألفاظ و المعاني ،عالية الإيقاع ، بديعة التصويروالخيال، لإلقاءها في حلقات الذّكر الصوفي، والمناسبات الدعوية مما له الأثر الطيب لحفظ اللغة العربية وانتشارها الواسع في أوساط الشعب الصومالي في القري والبوادي لكثرة أتباعه ومريديه. وكان يكثر الشوق والجنين الى الحرمين ويقلد الشعراء القدامىفي ذكر النوق والراحلة:-

وبلغ حادي النوق سلامي ** لجيران ثوو في خير نادي

[1] الشيخ عبد الرحمن الزيلعي ، فتح اللطيف شرح حديقة التصريف طبعة الاولى،2011، ص 5،

ثانيا اللّغة :

اللغة الشاعرية للشيخ عبد الرحمن الزيلعي له باع طويل في اللّغة العربية وفي علوم الشريعة وفنونها، وقام بتأليف كتب كثيرة في أغلب الفنون من فقه وقرآآت ولغة، ومارس قرض الشعر باللّغة العربية فقط، فليس له أشعار باللّغة الصومالية ،مما صقل ذهنه، وجعله ماهرا في صناعة القريض بألفاظ محكمة، ومعان ميسرة بمحسانات بديعية، وتشبيهات رائعة، وبارعا في اختيار البحور المناسبة للإيقاع وتصوير المشهد مما جعل شعره عذبا سلسا يحفظه طلابه .

ثالثا الأسلوب: من خلال قصائده يظهر أسلوب الشيخ الزيلعي أنه قويّ في مخاطبة الوجدان، وتحربك المشاعر لغرس المحبّة والشوق، وصفاء الأرواح عن الرذائل، إلى الخلوة والفضائل، فهو بارع في المدح والوصف وتعداد مناقب الأولياء وهذا من أدب الشعر الصوفي وهو قطب من أقطابه في قرن أفريقيا.

ثالثا: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشاشي شيخ صوفي(1824م-1900)

1. حياته ونشأتة

هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشاشي المقدشي الملقّب بشيخ صوفي، ولد الشيخ في مقديشو عام 1245هـ،الموافق 1824م، من أسرة دينيّة عريقة، وحفظ القرآن في سن مبكر، والتحق بمدرسة الشيخ نور دينلو الابتدائية، ولازم حلقة الشيخ ابي بكر بن محضار، ونبغ فيها وأتقن علوم الشريعة واللغة العربية ونال الإجازات من شيوخه الكبار في مقديشو ، وجلس للتدريس والإفتاء، ونشر الدّعوة الإسلامية وتخرّج على يديه مشاهير العلماء وعلى رأسهم السيد محمد عبد الله حسن قائد الدراويش، وخلق كثير في محافظة بنادر ونواحيها، ولم يخرج منها إلا مرّة واحدة للحج، ومات فيها 1323هـ 1900م،

والتحق الشيخ بالطريقة الأحمدية والصالحية في البداية ، وفي آخر حياته التحق الطريقة القادرية [1] ، واخذ الطريقة عن الشيخ أويس البراويّ، وقام بنشرها في أوساط مريديه، ومحبيه في محافظة بنادر ومن جاورها، وقد كان الشيخ متعدد اللغات يجيد اللغة الصومالية،والعربية والسواحلية، واشتهر بالزهد والكرم ومساعدة الفقراء والمساكين وطلاب العلم[2]

2. مكانته العلمية وشاعريته

من أشهر العلماء الصوماليين في القرن العشرين الميلادي، وبجانب التدريس والعمل الاجتماعي كان للشيخ صوفي نشاط في التأليف، وفي مجال اللّغة صنّف في علم العروض والقوافي المنظومة المسماة **الجوهرة السامية في علمي العروض والقافية**، وقد شرحها الشيخ أحمد بن عثمان الشاشي وسماها **كشف المعاني الخافية شرح الجوهرة السامية**، مما يدل على أن للصوماليين إسهامات في هذا المجال ، وللشيخ كتب مخطوطة في علم الصرف وقواعده، وشرح السلم في علم المنطق[3]،

أما شاعريّته فهو من أرباب الفصاحة وحامل لواء الشعر العربي في زمانه، وله قصائد كثيرة في جميع البحور الستة العشر في الشعر العربي ضمّه في ديوان سماه دليل العباد الى سبيل الرشاد ، أو مرشد الأحباب إلى ربّ الأرباب، اشتمل 66 قصيدة طويلة او مقاطع صغيرة ،أكثرها من الشعر الصوفي في التقديس والتهليل والمدح والزهد والقناعة[4].

3- الأغراض الشعرية لقصائده:

الشيخ صوفي قطب من أقطاب علماء الصوفية، وشيخ متقن لعلوم كثيرة، أكثر شعره في التصوّف والروحانيات والوعظ والإرشاد ومنها على سبيل المثال ما يلي:

---

[1] الشيخ عبد الرحمن النجار مرجع سابق،ص70،

[2] الشيخ قاسم اجمد عثمان الشاشى، المدائح المقولة في الشيخ صوفي دار الزهري واشاشي مقدشو 2018 م،ص 13،

[3] د محمد حسين معلم ، الثقافة العربية وروادها في الصومال مرجع سابق ص 352

[4] الشيخ عبد الرحمن عبد الله الصوفي الشاشي دليل العباد الى سبيل الرشاد ط،2،2015، ص12،

أ- المناجات والتقديس

في ديوانه مجموعة من القصائد لتقديس الله عز وجلّ، وثناءه بمدائح منها قوله:

سبحان من رفع السماء بلاعمد وأوتد الأرض أن مادت فلم تـــــمد

سبحان من زيّن الخصراء بالشهب والأرض بالنبــت والأزهار في السند

سبحان من أرسل الرياح لاقحة وأنزل الماء ســــــــــاقي القفر والبُلد

سبحان من حرّك الأفلاك جارية به ودائـــــــــــرة كالفُلك في الثمـــد

سبحان مخترع الأشيا وموجـدها أيّا تكون ومبديها مـــــــــــــتى يُرِد

سبحان خالق أعمال العباد كما يراهـــــــــــموا فهو حقا واحِد أحدي

وقد اثنى الله تعالى ما به أهل له أكثر في التسبيح والتمجيد واختتم بقوله:

واغفر لناظم هذا العقد يا سندي**عبيد رحمن راجي العفو والمدد [1]

ب- الاستغفار والتحميد:

أستغفر الله مولانا ومبدئـــــنا ** من نُطفة حين تُـــمني ثم مُنشـــــئنا

أستغفر الله مُحيينا ومُطعِمنا** في ظُلمة البـــــــــطن حتّى منه يُنسـِمنا

أستغفر الله مُغنينا وســـاقينا** بفضله من سَـــــــــــقاء أمّـــنا لـــــبنا

أستغفر الله مَن سوّى فعدّلنا**عقلا أتانا وتمـــــــــييزا فـــــعـــــبّدنا

أستغفر الله برّا رازقا صـــمدا** غفار الآثام لانـــــــــــــحصي له مننا

[1]) الشيخ عبد الرحمن الشاشى ديون دليل العباد مرجع سابق ص18،

ج- المدائح النبوية:

الشيخ صوفي له قصائد كثيرة يمدح بها المصطفى صلى الله عليه وسلم،ويكثر في تعداد شمائله وفضائله التى لا تحصى ولا تعدّ،وقد أبدع في هذا المجال فمنها قوله[1]

إمام الهدى سـيد الأوليا ومن فـوقهم فهو غيث الفلا

سراج منير وشـمس الهدى كصبح لديجور شـرك جلا

كفيل اليتـامى وفـيّ النهى كريـم السجـايا زكـيّ الكُلا

وصف مُحسنا يا لحسن حوي حـكـيم علـيم وعالى الحُلا

ومن اشهر قصائده القصيدة المسمى **النبذة اليقينية في معجزات خير البريّة**، أنشدهاخصيصا لذكر المعجزات النبوية ،وفي المقدمة شرح معنى المعجزة والارهاصات، وهي خلاصة للسيرة النبوية قاربت 400 بيتا ،[2] يقول في مطلعها :

فهاك أخي من معجزاته ما يجلوبه القلب عن صدا الشكوك جلا

ولا يعتريك الزيغ والرّيب بعصبة الأمـن والإيمان متّـصلا

ويسترسل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا:

أعـبدُ من عـبد الله وأحـمدُهم وأزهـد الناس للحِرم وما فضـلا

وهو الوقور الذكور الشاكر الورع والخاشع الخاضع الأخشى كمن وهِلا

مقدِّس الذات موصوف بأحسن خِل قلة كما خُلقه في الناس قد كمـلا

---

[1] الشيخ عبد الرحمن الشاشى ديون دليل العباد ص107،،

[2] لشيخ عبد الرحمن الشاشى ديون دليل العباد ص81،

كالشمس أبيض مُشرب بحمرته وأزهر اللون ربـــــع القـد معتـــدلا

بهيّ وجـــــه كبدر واسع وضُؤ مُدوّر الشعر كهلال النّور إذا هللا

د- **مناقب الصالحين**

الشاعر من أقطاب الطريقة القادريّة فله قصائد لمدح مؤسس الطريقة شيخ عبد القادر الجيلاني وذكـرمناقبه الجمة، يقول في مطلعها:[1]

شيئ لله يا عبد قادر مح يّ الـــــــدين في القـــلب حاضر

شيئ لله لله بـــــــــــادر الـــــمدد يا عبد القادر

أنت شمـــــس الأتقيا ء أنـــــت بدر الأولـــــــياء

أنت شيخ المرشـدين ومربّـــــي الســـــــــــالكين

أنت قطب الكائنين أنـــــت فرد الخـــــــــــافقين

هـ الوعظ وتوعية المجتمع

بعد ظهور التمدّن وما صاحب ذالك من عادات سيئة من بينها السفور والاختلاط في سكان مقديشو ، قام بمحاربتها انطلاقا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فانشد قصيدة تسمى **نصائح خصوصية أريد بها العموم** قال فيها :

إلـهي اهدِ أهل مقدشو إنهم أبـو أمـــــــــورا بها أتي الرســـــــول محمد

كسترٍ لعورات الرجال وللنـــــسا وحجبٍ لهنّ ممن الـــــــــــسوء يقصـــد

كأنّ آية الحجاب أنزل ربّـــــــنا على غيرهم عميا وصـــــــــــمّا تمرّدوا

وترك التخلي معْ أجـانب والنظر إليهن معْ قصـــــــدٍ وأن تبطـــش اليد

[1]الشيخ عبد الرحمن الشاشى ديون دليل العباد ص185،

ومسّ لهنّ بل مزاحـــــــــــــمة لما يؤدي لنكر ما وفـــــــــــحش ويفسد

بطال طنبور ومزمـار طبلهم وكـــــــــــــــوب وأكبار ونسر يسنّد

ولهْوٌ ولغو الغافلين وغفـــــــــلة بـــعادات أهل الشرك بالله عـــــــوّدوا

و لم ينصبوا للحق عـدلا مؤمّـرا ولم يســـــــــــــمعوا من مرشديهم فيهتـدوا[1]

4 - خصائص الشعر الفنّية:

أولا: الصورة الشعريّة:-

الشيخ صوفي شاعر من الطبقة الأولى، وأديب بارع، فقصائده تضاهي من حيث الأصالة والبلاغة ، قصائد الشعراء القدامى في الأدب العربي ،وله موهبة شعرية مطبوعة تأتي إليه الألفاظ والمعاني طوعية، والبحور والقوافي مسخرة منقادة، وديوانه شاهد لذاك، وقد أهّلت له ذاك الطبقة ممارسته لعلم العروض والقوافي دراسة وتدريسا وتأليفا،وتكوينه الشخصي في التبحّر في علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة علما أن الشيخ لم يرحل من مسقط رأسه في مقديشو فقد نهل من معينها ومراكزها وعلمائها وفاق أقرانه بذكائه واجتهاده ، وتبتّل للعبادة والخلوة في مقتبل عمره فأكثر شعره تقديس وتحميد وشكر للواحد الأحد، وشوق ولوعة لذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم.

ثانيا اللغة:-الشاعر متمكن في اللغة ،وعنده ذخيرة لغوية، يبدع عند الوصف بتشبهات واضحة سهلة وميسرة يفهم المستمع بلا تعقيد، كقوله في وصف وجه المصطفي لونا وشكلا:

كالشمس أبيض مُشرب بحمرته وأزهر اللون ربـــع القـد معتـــدلا

بهيّ وجه كبدر واسع وضُؤ مُدوّر الشعر كهلال النّور إذا هللا

وتظهر فصاحته عند المدح،كلمات موجزة، ومعان لطيفة،من أعماق القلب كقوله:

وصف مُحسنا يا لحسن حوي حكـــــــيم عليم وعالى الحُلا

---

[1] شيخ عبد الرحمن الشاشى ديون دليل العباد ص182،

ويظهر التحزّن والغيرة لدين الله عند الوعظ والإرشاد كقوله لأهل مقديشو:-

كأنّ آية الحجاب أنزل ربّـــــــــنا على غيرهم عميا وصـــــــــــــمّا تمرّدوا

وواهوا بذا دين الرّسول وأضعفوا فذوا الشرّ قرّبوا وذو الخـــــــــــــير بعّدوا

ثالثا الأسلوب: من خلال قصائده في ديوانه المطبوع يظهر أسلوب الشيخ الصوفي أنّه له حسّ قويّ وعاطفة جيّاشة،ويمتلك القدرة الفائقة على التّصويروالتّوصيف بعيدا عن التكلّف، والنّحت عن الجبال، فهو شخصيّة ذو ثقافة عالية في العلوم الشرعية، وتفوّق في علم التّصوّف ، فهو رائد الحركة الشعريّة والأدب الصوفي في إفريقيا عموما وفي القرن الإفريقي،ويستحقّ انتاجه الدّراسة عند أهل الأدب والنقد من أبناء الصومال وغيرهم

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول فيه الأدب العربي في قرن أفريقيا،وفي الصومال الكبير الذي يشمل دولا أربعة حسب جغرافية العالم المعاصر اليوم، وركز على الأدب الصوفي الممتزج بين الثقافة الإسلامية والبيئة الصوماليّة، وناقش دور الصوفيّةالفعّال في تأصيل اللّغة العربيّة ونشرها في الصومال قديما، ثم بينتُ النتائج والتوصيات المستوحاة من الدّراسة على النحو التالي :

أولا: النتائج

1- اللغة العربية جزء لا يتجزّأ عن الهويّة الصومالية، وثقافة أصيلة في المجتمع الصومالي مما جعل الأمة الصومالية مثـقّـــفة ومتقدّمة في قديم الزمان،حيث كانت اللّغة العربية لغة عقيدة وحضارة، فالممالك والإمارات الصومالية والمشيخات والمراكز العلمية، والشركات التجارية استخدمت اللغة العربية كتابة وتدوينا والمخطوطات شاهدة على ذالك.ولم يستطع الاستعمار إبعادها عن الساحة مع كثرة محاولاته في تحقيق ذالك.

2- انشار الإسلام في أفريقيا أخرجها من الجهل والظلام واكتسبت اللغة العربية الحبّ والتقدير من الدّين الإسلامي في جميع بيئات غير النّاطقين باللغة العربية، فإجادة اللّغة العربيّة تجويد للتديّن وتيسير لفهم القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة ،
فالطفل الصومالي في الخامسة من عمره، يبدأ تعلّم الهجاء بالحرف العربي حسب القواعد المشهورة في الكتاتيب والخلاوي، وحسب تربية الأسرة الصومالية في الوبر والمدر على الأولاد أن يكملوا حفظ القرآن قبل العاشرة من عمره ، وإن تأخر فقبل البلوغ إلا ما ندر .

3- الطرق الصوفية قامت بجهود منقطعة النظير في تعريب المجتمع ونشر اللّغة العربيّة في البوادي والقرى النائية، وفي المدن الكبيرة، كما صدّت محاولات التّغريب من قبل القوى الاستعمارية حتى فسّروا اللاتينة- باللا دينية تنفيرا وتقبيحا.

4- الشعر العربيّ في الصومال والأدباء الصوماليون الذين يقرضون الشعر باللّغة العربية كثيرون، ولكن تعرضت قصائدهم للإهمال والضياع، وأصابها التحريف والنقص في بعضها مما جعلها طلاسم غير مفهومة، وانخرمت أوزا نها في التفاعيل العروضية، وبما أن البيئة الصومالية غير مستقرّة، ويكثر فيها الحروب والصراعات، ويصيبها القحط والجفاف فقد ضاعت أكثر المخطوطات والإسهامات العلمية، وأحرقت
مراكز علمية مرموقة مثل هرر العاصمة للإمارات الإسلامية، ومدينة زيلغ ، وتليح و جلعسبو وأشراف بيد العدوان الثلاثي المسيحي (بريطانيا ،إيطاليا، الحبشة).

5- السيد الأديب محمد عبد الله حسن نور الأوجادیني ،قائد الدراويش شاعر التحرير والجهاد، ومؤسس ثقافة النضال والكفاح في قرن إفريقيا ضدّ الاستعمار وقوى الظلم والاستعباد، والشيخ عبد الرّحمن الزّيلعي الرحنويني ،عالم نحريروأديب بارع تدرس منظوماته في الأزهر الشريف والعالم الاسلامي، والشاعر عبد الرّحمن الصوفيّ الشاشي، عالم وأديب ورائد الحركة الشعريّة، وحامل لواء المدائح النبوية والأدب الصوفيّ في قرن إفريقيا،بل

ينافس شعراء المدائح في العالم العربيّ كالإمام البوصيري في البردة، وأمير الشعراء شوقي في نهج البردة وغيرهم.

6- احياء دور المساجد والزوايا والتركيز على الحلقات العلميّة التى اشتهرت الصومال بها قديما، وبسطها لتشمل القرى والبوادي لحاجة الناس الى العلم وتعليم اللّغة العربية ، وتشجيع القائمين في هذا الرياط ، وفي الآونة الأخيرة اتجهت كلّ الجهود في المدن الكبيرة، والتعليم النظامي من مدارس ومعاهد وجامعات.

ثانيا التوصيات:

- يوصي الباحث الاهتمام بالأدب العربي في الصومال ،وتحقيق تراثه، وإخراج مخطوطاته إلى الوجود وطباعته.
- اجراء البحوث والدراسات بالانتاج الأدبي للشعراء الصوماليين باللغة العربية نقدا ودراسة فهو مصدر خصب يستحق الدراسة والتنقيب.
- احياء الأمسيات الشعرية واجراء المسابقات بالأشعار العربيّة في الصومال ، وتبادل الزيارات في جميع الإقاليم الصومالية.
- انشاء موقع إلكتروني لتخزين القصائد للأدباء الصوماليين ليسهل تناولها لدي الباحثين وينتشر الأدب الصومالي العربي في أرجاء المعمورة.
- عقد المقارنات بين الشعر الصومالي باللغة المحلية والشعر العربي الصومالي في وجوه التشابه واقتراض المفردات والاختلاف.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم عبد الله محمد ،تحفة الأوفياء لمسيرة التحرير والتعريب في القرن الأفريقي، طبعة الأولى 2001.
- أحمد الهاشمي ، القواعد الأساسية للغة العربية ،دار عمربن الخطاب القاهرة ط1،2007م.
- أنور ميو، نيل الآمال في تراجم أعلام الصومال ،دار زيلع مقديشو، الطبعة الثانية،2012 م.
- جامع عمر عيسى، تاريخ الدراويش والسيد محمد عبد الله باللّغة الصومالية، طبع في جيبوتي ،الطبعة الأولى 2006.
- جامع عمر عيسى، صفحات من تاريخ العلّامة الحاج علي عبد الرّحمن فقيه، دار الكتب صنعاء اليمن، الطبعة الأولى:1430-2009م.
- د.حسن مكي محمد ،السياسة الثقافية في الصومال الكبير دار المركز الاسلامي الافريقي الخرطوم ، 1990
- مبارك زكي. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق. مكتبة الثقافة الدينية 2004م،
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، ط1،
- الشيخ عبد الرّحمن النّجار،الإسلام في الصومال، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة،1393هـ،1973م.
- الشيخ عبد الرحمن عبد الله الشاشي ، دليل العباد الي سبيل الرشاد، الطبعة الثانية 1436هـ2015م.
- الشيخ عبدالرحمن الزيلعي،فتح اللطيف شرح حديق التصريف.مكتبة الامام الوادعي صنعاء طبعة الأولى2011م.

- الشيخ عبد الله عمر نور،مسيرة الإسلام في الصومال الكبير، الطبعة الثانية ،دون ذكر التاريخ.
- الشيخ قاسم أحمد الشاشي، المدائح المقولة في الشيخ صوفي، دار الزهري والشاشي، مقديشو1440-2018م.
- د.محمد حسين معلم علي،الثّقافة العربيّة وروّادها في الصومال دراسة تاريخية حضارية ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، مصر، طبعة الأولى ،2011م.
- د.محمد إبراهيم عبدي،مشكلة الصومال الغربيّ وأثرها على العلاقات العربيّة الأفريقية،دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى1431-2010م.
- د.محمد حسن عبد العزيز،مدخل الى اللغة،دار الكتاب الجامعي، الكويت ، الطبعة الثالثة 1996م.
- عميد محمد فريد ، صفحات من تاريخ الصومال ، دار المعارف القاهرة ،د.ذ ت
- محمد طاهر نظرات في الثقافة الصومالية اصدارت دائرة الثقافة والاعلام حكومة الشارقة الطبعة الاولى 2002م

الرسائل والبحوث والكتب غير المنشورة

- أحمد حسن بري المدائح النبوية في الصومال في العصر الحديث، دراسة موضوعية فنية ، رسالة ماجستير (غيرمنشورة) في جامعة مدينة العالمية ماليزيا 2015
- محمد بري علي ، الصناعة الشعرية في الصومال- دراسة علمية موثقة ورقة بحثية منشور على الانترنت موقع سهن

الصناعة الشعرية في الصومال https://sahancenter.com/ar/2018/07/22/

- منير عبد الله الحاج عبده خواطر ورؤى معاصرة في أمور الدعوة والحياة ،غيرمنشورة (تحت الطبع)